أرمينية والرّان وأذربيجان

فأمّا أرمينية، والرّان، وأذربيجان فإنّا جمعناها في صورة واحدة وجعلناها إقليمًا واحدًا والّذي يحيط بها ممّا يلي المشرق الجبال والديلم وغربيٌّ بحر الخزر، والّذي يحيط بها ممّا يلي المغرب وحدود الأرمن واللاّن وشيءٌ من حدّ الجزيرة، والّذي يحيط بها ممّا يلي الشمال اللاّن وجبال القَبْق، والّذي يحيط بها ممّا يلي الجنوب حدود العراق وشيءٌ من حدود الجزيرة.

فأمّا أَذَرْبَيْجَان فإنّ أكبر مدينة بها أَرْدَبِيل، وبها المعسكر، ودار الإمارة وهي مدينة تكون ثُلُثي فرسخ في مثلها وعليها سور فيه ثلاثة أبواب، وبناؤها الغالب عليه الطين، وهي مدينة خصبة وأسعارها رخيصة، وبها رساتيق وكور وبها جبل نحو فرسخين يسمّى سَبَلاَن عظيم مرتفع لا يفارقه الثلج شتاءً ولا صيفًا، ولا يكون به عمارة.

وتلي أردبيل في الكبر المَرَاغَة وكانت في قديم الأيّام المعسكر ودار الإمارة، والمراغة نزهة جدًا خصبة كثيرة البساتين والرساتيق، والزروع، وكان عليها سور خرّبه ابن أبي الساج، ثمّ تلي المراغة في الكبر أُرْمِيَة، وهي مدينة نزهة كثيرة الخير رخيصة الأسعار على شط بحيرة الشُّرَاة. وأمّا المَيَانِج، والخُونَج، وأُجَن وداخَرَّقَان، وخُوَيٌّ، وسَلَمَاس، ومَرَنْد، وتِبرِيز، وبَرْزَنْد، ووَرْثَان، ومُوقان وجابَرَوَان، وأُشْنُه، فإنّها مدن صغار متقاربة في الكبر، وأمّا جابروان، وتبريز وأُشْنُه الأَذَرِيَّة، فإنّ هذه الثلاث مدن وما تحتُّف به تعرف بالرُّدَيْنيّ.

وأمّا بَرْذَعَة فإنّها مدينة كبيرة جدًّا تكون أكبر من ٨ فراسخ وهي نزهة خصبة كثيرة الزرع والثمار جدًّا، وليس فيما بين العراق وخراسان بعد الريّ وأصبهان مدينة أكبر ولا أخصب ولا أحسن موضعًا، ومرافق من برذعة،

ومنها على أقلّ من فرسخ موضع يسمَّى الأَنْدَراب ما بين كَرْنة ولَصُوب ويقظان أكثر من مسيرة يوم في يوم مشتبكة البساتين والباغات كلُّها فواكه، وفيها البندق الجيِّد أجود من بندق سمرقند، وبها شاهبَلُّوط أجود من شاهبلُّوط الشام، ولهم فاكهة تسمَّى الروقال في تقدير الغُبَيراء وله نوى حلو الطعم إذا أدرك، وفيه مرارة قبل أن يدرك، وأمَّا الشاهبلُّوط فإنَّه على تقدير نصف جوزة سوداء يقارب طعمه طعم البندق والرطب، وببرذعة تين يحمل من لَصُوب يفضِّل على جنسه ويرتفع من الإبريسم شيءٌ كثير، يربَّى على توت مباح لا مالك له ويجهز منه إلى فارس وخوزستان شيءٌ كثير، وعلى ثُلث فرسخ من برذعة نهر الكُرّ، وبنهر الكرّ السرماهي الذي يحمل إلى الآفاق مالحًا ويرتفع من نهر الكرّ سمك يسمّى الزراقن والعشوبة، سمكان يفضَّلان على أجناس السمك بتلك النواحي، وعلى باب برذعة -يسمَّى باب الأكراد- سوق يسمَّى الكُرْكيَّ مقدار فرسخ في فرسخ يجتمع فيه الناس كلَّ يوم أحد، وينتابه الناس من كلِّ مكان حتَّى من العراق وهو أكبر من سوق كولسره، وقد غلب على هذا اليوم لدوامه اسم الكُرْكيّ حتَّى إنَّ كثيرًا منهم إذا عدَّ أيَّام الجمعة قَالَ: السبت والكركيُّ والإثنين والثلاثاء حتّى يعدَّ أيَّام الجمعة، وبيت مالهم في مسجد الجامع على رسم الشام فإنَّ بيوت أموال الشام مساجدها، وهو بيت مال مرصَّص السطح وعليه باب حديد وهو على تسعة اساطين، ودار الإمارة بجنب مسجد الجامع في المدينة والأسواق في ربضها.

وأمَّا باب الأبواب: فإنَّها مدينة على البحر وفي وسطها مرسى للسفن وبين هذا المرسى وبين البحر قد بُنِيَ على حافتي البحر سدَّان حتَّى ضاق مَدْخَلُ السفن وجُعِلَ المدخل مُلْتَويًا وعلى هذا الفم سلسلة ممدودة لا يخرج المركب ولا يدخل إلاَّ بأمر، وهذان السدَّان من صخر ورصاص، وباب الأبواب على بحر طبرستان: هي مدينة تكون أكبر من أردبيل ولهم زروع كثيرة وثمار قليلة

إلاَّ ما يحمل إليهم من النواحي، وهي مدينة عليها سور من حجارة وآجُرّ وطين وهي فرضة بحر الخزر من السرير وسائر بلدان الكفر، وهي أيضًا فرضة جرجان وطبرستان والديلم، ويرتفع منها ثياب كتَّان وليس بالران، وأرمينية، وأذربيجان ثياب كتَّان إلاَّ هناك وبها زعفران، ويقع إليها رقيق من سائر دور الكفر.

وتِفْلِيس: مدينة دون باب الأبواب في الكبر وعليها سوران من طين ولها ثلاثة أبواب وهي خصبة جدًّا كثيرة الفواكه والزروع وهي ثغر وبها حمَّامات مثل حمَّامات طبريَّة ماؤها سخن من غير نار، وليس بالران مدينة أكبر من برذعة، والباب وتفليس. فأمَّا بَيْلَقَان ووَرْثان وبَرْديج وبَرْزَنْج والشَّمَاخِيَة وشَرْوَان والأَبْخَارُ والشابَرَان وقَبَلَة وشَكِّي وجَنْزَة وشَمْكُور وخَنَان، فإنَّها صغار متقاربة في الكبر خصبة واسعة المرافق، وأمَّا ديبل فإنَّها مدينة أكبر من أردبيل وهي قصبة أرمينية، وبها دار الإمارة، كما أن دار الإمارة بالران: برذعة، ودار الإمارة بأذربيجان أردبيل، وعليها سور والنصارى بها كثير، ومسجد الجامع لجنب البيعة ويرتفع بها ثياب الصوف من بسط، ووسائد، ومقاعد، وتكك وغير ذلك من أصناف الأرمينيّ، ولهم صبغ يسمّى القرمز به يصبغ الصوف، بلغني أنه دودة تنسج على نفسها مثل دودة القزّ، وبلغني أنَّه يرتفع بها بزيون كثير، وهي قصبة أرمينية وكان بها سَنْبَاط بن أَشُوط، ولم تزل في أيدي الكبراء من النصارى وهم الغالب على أهل أرمينية، وهي ممكلة الأرمن متاخمين للروم فحدٌّ لهم إلى برذعة وحدٌّ لهم إلى الجزيرة، وحدٌّ لهم إلى أذربيجان، والثغر الّذي يلي الروم من أرمينية قاليقَلاَ، وإليها يغزو أهل أذربيجان والجبال والريّ وما والاها ولهم مدخل إلى الروم يعرف بَطَرَابَذُنْدَة يجتمع فيه التجَّار فيدخلون بلد الروم للتجارة فما وقع من دبابيج، وبزيون، وثياب الروم إلى تلك النواحي فمن طرابذندة وأمَّا نَشَوَى وبَرْكَرِي وخِلاَط

ومَنَازْكِرْد وبَدْلِيس وقَاليقَلاَ وأَرْزَن ومَيَّافَارِقِين وسِرَاج فهي بلدان صغار متقاربة في المقدار خصبة كلّها عامرة كثيرة الخير، ومَيَّافارقين يعدُّها قوم من الجزيرة إلاَّ أنَّها دون دجلة وخلفها حدُّ الجزيرة فيما صَوَّرنا ما بين دجلة والفرات فلذلك جعلناها بأرمينية.

وأمَّا الأنهار بهذه البلدان التي تجري فيها السفن فنهر الكُرّ، ونهر الرَّسّ فأما سَبِيذروذ التي بين أردبَيل وزَنْجان، فنهر يصغر عن جري السفن فيه، والكر: نهر عذب مرئ خفيف يخرج من ناحية الجبل على حدود جنزة وشمكور إلى قرب تفليس، ثمَّ يقع في بلدان الكفر، وأمَّا نهر الرَّسّ فإنَّه نهر عذب طيِّب يخرج من أرمينية، حتَّى ينتهي إلى باب ورثان، ثمَّ ينتهي إلى خلف موقان وخلف مخرج نهر الكرّ فيقع في البحر.

وأمَّا بحارها فإنَّ بأذربيجان بُحَيْرة تعرف ببحيرة أُرْمِيَة مالحة الماء وفيها سمك، وفيها دابَّة تسمّى كلب الماء، وهي كبيرة وحواليها كلُّها عمارة، وقرى ورساتيق، وبين هذه البحيرة وبين مراغة ثلاثة فراسخ وبينها وبين أرمية فرسخان وبين داخَرَّقان وشطّ البحيرة نحو أربعة فراسخ، وطولها نحو أربعة أيّام سيرَ الدوابِّ، وأمَّا للريح فإنَّهُ ربَّما يُسَار في ليلة، وبحيرة بأرمينيَّة تعرف ببحيرة أَرْجِيش يرتفع منه سمك الطّريخ يحمل إلى الآفاق، ولهم بحر طبرستان وعليه من المدن باب الأبواب وباكوه، وبباكوه النفط، فأمَّا دجلة فإنَّ شيئًا يسيرًا ينتهي منها إلى أرمينية وقد صوَّرنا دجلة في صورة جزيرة والعراق، ويرتفع من نواحي بَرْذَعَة بغال تجلب إلى الآفاق، ويرتفع منها هذه القُوَّة الَّتي تجلب إلى بلاد الهند وسائر المواضع.

وحدُّ الرَّان من باب الأبواب إلى تفليس إلى قرب نهر الرسّ مكان يعرف بحجيران، وأذربيجان حدُّها الجبل، حتَّى ينتهي إلى ظهر الطَّرْم إلى حدِّ زَنْجَان

إلى ظهر الدِّينَوَر، ثمَّ يدور إلى ظهر حُلْوَان وشَهْرَزُور، حتَّى ينتهي إلى قرب دجلة، ثمَّ يطوف إلى حدود أرمينية وقد بيَّنَّا حدَّ أرمينية قبل هذا، وبهذه المدن من السعر الرخيص ما يبلغ في بعض المواضع الشاة بدرهمين، وربَّما بلغ العسل في بعض أقاليمها المنوَيْن والثلاثة بدرهم، وبها من الخصب ما إن ذُكِر لمن لم يشاهده أنكره لعظمه، وبها ملوك في الأطراف أماكنهم مثل الممالك، لهم مملكة واسعة وأموال.

منهم ملك شَرْوان، يعرف بشروان شاه، وملك الأبخاز: يعرف بالأبخاز شاه، والغالب على أذربيجان وأرمينية والرَّان الجبال وبدَبيل جبل عظيم يسمَّى الحارثُ لا يُرْتَقَى إلى أعلاه من ارتفاعه، وصعوبة مسلكه والثلوج عليه دائمة، ودونه جبل صغير يسمَّى الحُوَيْرث، وتخرج من الحارث مياههم ومحتطبهم ومتصيَّدهم فيه، ويقال: إنَّهُ لا يعرف جبل أعلى منه بهذه المدن.

وَمَنُّ أردبيل ألف درهم وأربعون درهمًا، مثل مَنَا شيراز، إلاَّ أنَّ بشيراز يسمَّى المَنَا وباردبيل يسمَّى الرطل، ولسان أذربيجان، وأرمينية، والرَّان الفارسيَّة والعربيَّة، غير أنَّ أهل ديبل وحواليها يتكلمون بالأرمينيَّة، ونواحي برذعة لسانهم الرانيَّة، ولهم جبال يسمُّونها القَبْق وتحيط بها ألسنة مختلفة كثيرة للكفَّار ونقود أذربيجان والرَّان وأرمينية الذهب والفضَّة جميعًا.

المسافات بهذه النواحي

الطريق من بَرْذَعَة إلى أردبيل من برذعة إلى يُونَان ٧ فراسخ، ومن يونان إلى بَيْلَقَان ٧ فراسخ، ومن بيلقان إلى وَرْثان ٧ فراسخ، ومن ورثان إلى بَلْخَاب ٧ فراسخ، ومن بلخاب إلى بَرْزَنْد ٧ فراسخ، ومن برزند إلى أَرْدَبيل ١٥ فرسخًا.

الطريق من برذعة إلى باب الأبواب، من برذعة إلى بَرْزَنْج ١٨ فرسخًا، ومن برزنج إلى مَعْبَر الكُرّ إلى الشَّمَاخِيَة ١٤ فرسخًا، ومن الشماخية إلى شروان ٣ أيام، ومن شروان إلى الأبخاز يومان، ومن الأبخاز إلى جسر سَمُور ١٢ فرسخًا، ومن جسر سمور إلى باب الأبواب ٢٠ فرسخًا، الطريق من برذعة إلى تفليس من برذعة إلى جَنْزَة مدينة ٩ فراسخ، ومن جنزة إلى شَمْكُور ١٠ فراسخ، ومن شمكور إلى خُنَان مدينة ٢١ فرسخًا، ومن خنان إلى قلعة ابن كندمان ١٠ فراسخ، ومن القلعة إلى تفليس ١٢ فرسخًا.

الطريق من برذعة إلى ديبل من برذعة إلى قلقاطوس ٩ فراسخ، ومن قلقاطوس إلى متريس ١٣ فرسخًا، ومن متريس إلى دَوْميس ١٢ فرسخًا، ومن دوميس إلى كيل كوي ١٦ فرسخًا ومن كيل كوي إلى سيسَجَان ١٦ فرسخًا، ومن سيسجان إلى دَبِيل ١٦ فرسخًا، والطريق من برذعة إلى دبيل في الأرمن، وهذه القرى كلُّها مملكة سَنْباط بن أَشُوط.

الطريق من أردبيل إلى زنجان، من أردبيل إلى قنطرة سَبِيذْرُوذ مرحلتان، ومن القنطرة إلى السَّرَاة يوم، ومن السراة إلى نوى يوم، ومن نوى إلى زنجان يوم، ومن أردبيل إلى المراغة من أردبيل إلى المَيَانِج ٢٠ فرسخًا، ومن الميانج إلى خُونج مدينة ٧ فراسخ، ومن خونج إلى كولسرة رستاق سوق عظيم لا منبر فيه ٣ فراسخ ومن كولسرة إلى المَرَاغَة ١٠ فراسخ.

الطريق من أردبيل إلى آمد من أردبيل إلى المراغة ٤٠ فرسخًا، ومن المراغة إلى داخَرَّقَان منبر مرحلتان، ومنها إلى أُرْمِيَة مدينة مرحلتان ومن أرمية إلى سَلْمَاس مرحلتان، ومن سلماس إلى خُوَيّ ٧ فراسخ ومن خويّ إلى بَرْكَرى ٣٠ فرسخًا، ومن بركرى إلى أَرْجِيش يوم واحد، ومن أرجيش إلى خِلاَط ٣ أيام، ومن خلاط إلى بَدْلِيس يوم، ومن بدليس إلى مَيَّافَارِقِين ٣ أيام، ومن ميَّافارقين

إلى آماد يومان.

الطريق من المراغة إلى دبيل من مراغة إلى أرمية ٣٠ فرسخًا، ومن أرمية إلى سلماس ١٤ فرسخًا ومن سلماس إلى خويّ ٧ فراسخ ومن خوي إلى نشوى ٣ أيّام ومن نشوى إلى دبيل ٤ مراحل، ومن المراغة إلى الدينور ٦٠ فرسخًا، ليس فيها منابر.